(٧)

مقترح بتطوير برنامج تعليم القراءة في المرحلة الثانوية بمصر

أولاً : المقدمة :

بدأ التعليم الحديث في مصر منذ بدايات القرن التاسع عشر منذ تولي محمد علي حكم مصر عام ١٨٠٥م ، وكان بجانب هذا التعليم الديني الذي يمثله الأزهر ، وقد مر التعليم المصري قبل الجامعي بعدة مراحل ، وهو يتكون الآن من :

المرحلة الابتدائية ٦ سنوات

المرحلة الإعدادية ٣ سنوات

المرحلة الثانوية ٣ سنوات

والمنهج المصري بصفة عامة هو منهج المادة الدراسية ، الذي يعتمد على مجموعة من المواد الدراسية المنفصلة ؛ ومن هذه المواد ، اللغة القومية التي تأخذ نسبة ٥٣٪ من الوقت الكلي في المرحلة الابتدائية ، ونسبة ٢٦٪ من الوقت في المرحلة الإعدادية ، ونسبة ١٨٪ من الوقت في المرحلة الثانوية .

وتقدم اللغة العربية بصفة خاصة في المرحلتين الإعدادية والثانوية على شكل مجموعة فروع منفصلة لا علاقة بينها ، تنقسم اللغة إلى نحو وصرف وبلاغة ، وإملاء ، وخط وتعبير تحريري وشفوي ، وقراءة وأدب ، وهناك شيء من التكامل بين هذه الفروع في المرحلة الابتدائية ، ويأخذ تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية نسبة ٨٠٪ من الوقت الكلي المخصص لتعليم اللغة العربية ، ونسبة ٣٣٪ في المرحلة الإعدادية ، ونسبة ٣٣٪ في المرحلة الثانوية .

وقد مر مفهوم القراءة في مصر بمرحلتين ، المرحلة الأولى تركز فيها مفهوم القراءة على التعرف والنطق ، ومن هنا كانت القراءة الجهرية هي محل الاهتمام الأول في تعليم القراءة ، وكان ذلك قبل خمسينيات هذا القرن ، وأن المرحلة الثانية فقد تركز مفهوم القراءة فيها على الفهم ، وشيء من إبداء الرأي، وظهر ذلك بعد خمسينيات هذا القرن على يد مجموعة من الدارسين الذين درسوا في أمريكا وأوروبا ، كذلك تطورت طريقة تعليم القراءة من الاعتماد على الطريقة الجزئية (قبل خمسينات هذا القرن) ، إلى الاعتماد على الطريقة الكلية في تعليم القراءة ، تلك التي تعتمد على الكلمة أو الجملة ، بدءًا من منتصف خمسينيات هذا القرن .

وعلى أية حال ، فإن تعليم القراءة في المرحلة الثانوية في مصر يهدف إلى :

١- يفهم الطالب ما يقرأ فهمًا جيدًا .

٢- يتصفح بسرعة بعض المقالات والصحف .

٣- يفهم ما بين السطور من معاني .

٤- يستنتج مما يقرأ .

٥- يفرق بين الأفكار الأساسية والثانوية .

٦- يتذوق ما يقرأ .

٧- ينفذ ما يقرأ .

٨- يبدي رأيه فيما يقرأ .

ويعتمد في تعليم القراءة بالمرحلة الثانوية على ما يسمى بكتاب القراءة الأساسي ، وهو نوعان :

١- كتاب ذو موضوعات متعددة .

٢- كتاب ذو موضوع واحد ، إما قصة أو مسرحية أو دراسة نقدية مما قد يراه المشرفون على تعليم اللغة العربية .

ويقوم تعليم القراءة عادة في نهاية الفصل الدراسي الأول أو الثاني باختبارات تقيس :

١- فهم المفردات .

٢- فهم التراكيب اللغوية البلاغية .

٣- فهم المعاني العامة والجزئية .

٤- تعريف بعض المفردات والجموع .

٥- تحصيل المعلومات التي بالموضوعات .

والكتب الأساسية موحدة لجميع الطلاب ، بنين وبنات ، ولجميع البيئات المدنية والقروية والبدوية ، فتُدرَّس جميع الموضوعات لجميع الطلاب في جميع البيئات ، وقد تكون هذه الموضوعات غير ملائمة لميول الطلاب أو للبيئات المختلفة التي يعيش فيها هؤلاء الطلاب ، وقد عقدت مؤتمرات لتطوير تعليم القراءة في المرحلة الثانوية في مصر ، وكان من بينها مؤتمر عقد عام ١٩٨٦م ، وقد قُدِّمت مقترحات بتطوير تعليم القراءة في المرحلة الثانوية سأذكرها فيما بعد .

وبالمقارنة بين ما يحدث في مصر وما ذكره المتخصصون في القراءة ترى أن تعليم القراءة في المرحلة الثانوية بمصر في حاجة إلى إعادة نظر ، وإلى فكرة جديدة ، فقد ذكر العلماء المتخصصون أن مراحل تعليم القراءة خمسة ، هي : الاستعداد لتعليم القراءة ، والبدء في تعليم القراءة ، وتنمية المهارات الأساسية ، والقراءة الواسعة ، وصقل وتهذيب عادات القراءة ، وتنتهي هذه المراحل عادة في نهاية المرحلة الإعدادية ، وبعدها يبدأ الطلاب في المرحلة الثانوية في القراءة للدراسة ، أو في القراءة الحرة دون قيد .

لكن الذي يحدث في تعليم القراءة في مصر هو استمرار تعليمها إلى المرحلة الثانوية ، ويتم تعليم القراءة بصورة مملة وتقليدية ، تبدأ بمجموعة من الأسئلة يطرحها المعلم في موضوع الدرس ، ثم يقرأ التلاميذ الموضوع قراءة

صامتة ، ثم مناقشة عامة أو تفصيلية ، تليها قراءة جهرية من قبل الطلاب يقف أحدهم ليقرأ فقرة ، ثم يجلس ليقوم من بجواره ليقرأ الفقرة الثانية ... وهكذا .

وتعتبر حصة القراءة من أضعف الحصص ؛ لأنها أقل عادة من مستوى الطلاب ؛ ولأن التركيز فيها على المعلومات التي يمكن أن يستوعبها الطلاب عادة بأنفسهم ، دون حاجة إلى معلمين ، علاوة على أن لا جديد فيما يُقدَّم سواء من حيث طريقة التدريس ، أو من حيث الموضوعات ، وفي الغالب يهرب الطلاب من حضور هذه الحصص ؛ لأنها غير مقيدة ، وغير مستمرة ، ثم أن عدد صفحات الكتاب المقرر لا يتعدى المائة صفحة في العام كله ، وهي قليلة جداً ، إذا قيس هذا بكم المطبوعات التي تطرقها المطابع اليوم .

علاوة على ذلك ، فليس هناك تدريب على السرعة في القراءة على الرغم من أهميتها ، كذلك ليس هناك تدريب على تحسين القراءة الجهرية ، أو تجويدها ، وأيضًا لا يُدرَّب الطلاب على القراءة للدراسة ، ومن ثم فالهدف الرئيس الواقعي لتعليم القراءة في المرحلة الثانوية في مصر هو إثراء المعلومات ، وتنمية الثروة اللغوية فقط ، أما النقد والابتكار ، فلا مكان لهما في تعليم القراءة غالبًا ، إلا ما يقوم به بعض المدرسين المتحمسين .

ويُقدَّم هنا مقترحًا لتعليم القراءة في المرحلة الثانوية بمصر ، بتلافي أولى الانقضاءات السابقة ، ويحقق كل الأهداف التربوية التي وضعها الخبراء لتعليم القراءة في المرحلة الثانوية ، ويحقق الانطلاقة الكبيرة في تعميق مفهوم القراءة وتوسيع أفقها .

علاوة على ما سبق فإن المقترح الجديد يوازن بين القراءة الصامتة والجهرية ، وبين القراءة للتسلية والقراءة للدراسة ، علاوة على الاهتمام بالقراءة الحرة ، ولميول الطلاب وأيضًا فإن المقترح الجديد ، يوفر كثيراً من المال الذي ينفق على تأليف وطباعة الكتب الأساسية ، ويعطي فرصة كبيرة لميول الطلاب واختباراتهم ، ومواجهة البيئات المختلفة بالقراءات المناسبة ، وهذا هو الجديد في هذا المقترح .

ثانياً : البرنامج المقترح :

المرحلة الثانوية لها أهميتها في السلم التعليمي ، وفي إعداد الفرد للحياة ، حيث أنها تؤدي دوراً مهمًا في إطلاق إمكانات التلاميذ ، والإفادة منها وتهيئتهم إما للانتظام في الدراسة الأكاديمية في الجامعة ، وإما للعمل وتحمل عبء الحياة بما تتضمنه كلمة «عبء» من معنى ، والتهيئة للدراسة الأكاديمية أو الإعداد للحياة يتطلبان مهارات مختلفة وكفايات متنوعة ، لعل من أهمها مهارة القراءة ، ومن ثم يجب أن تدرس تلك المهارة من كل جوانبها ، وأن نهيئ الظروف المختلفة لتمكين الطالب منها واستخدامها بكفاءة واقتدار .

وتزداد أهمية القراءة في المجتمعات بزيادة تعقدها ، فكلما تعقدت الثقافة وزادت المخترعات والمبتكرات ، زادت أهمية القراءة حتى يمكن استخدام تلك المخترعات وصيانتها ، والإفادة منها وارتفاع نوعية التكنولوجيا التي يستخدمها المجتمع يتطلب كفاءة أكبر من القراءة .

ومن هنا كانت فكرة التعليم الأساسي ورفع سن الإلزام وقيام الدول المتقدمة بإتاحة فرصة التعليم لأبنائها إلى نهاية المرحلة الثانوية ، حتى يتمكنوا من مواجهة التراكمات الثقافية والتكنولوجية المختلفة ، ومع زيادة وسائل الاتصال الثقافي المتمثلة في الإذاعة والسينما والتليفزيون وغيرها سوف تبقى القراءة الأداة الأساسية للنمو الشخصي والاجتماعي من النواحي الفكرية والوجدانية والعلمية ، والأسباب في ذلك كثيرة معروفة فأنت تستطيع أن تقرأ ما تشاء في أي مكان وفي أي زمان دون قيد أو شرط ، من هنا أو هناك .

وليس من قبيل المصادفة أن تعلن أمريكا بعد إطلاق روسيا لقمرها الصناعي الأول عام ١٩٥٧م أن السبب في تخلف أمريكا - في ذلك الوقت - في هذا المضمار يعود - بالدرجة الأولى إلى فشل معلم القراءة في تنمية ميل التلاميذ إلى القراءة والبحث والابتكار ، ولرفع مستوى التلاميذ في هذا الفن ، خصصت الولايات المتحدة عقد السبعينيات «لتحقيق حق كل طفل في أن

يكون قارئاً جيداً» ، والقراءة في المرحلة الثانوية في بلادنا العربية لا تتعدى أهدافها تعليم القراءة في المرحلة الإعدادية أو المتوسطة ، ذلك أن تعليم القراءة في أحد المرحلتين يعتمد على كتاب ذي موضوعات متعددة وعلى آخر ذي موضوع واحد ، وتتم إجراءات التدريس في تلك المرحلتين بنفس المستوى من الأداء .

ولو سألت بعض المعلمين الذين درسوا في المرحلتين الإعدادية والثانوية عن الفرق بين تعليم القراءة فيهما لما أعطى إجابة محددة ، والسبب في ذلك من وجهة نظرنا ـ أن الاتجاه العام في تدريس القراءة في المرحلتين يكاد يكون واحداً ؛ ولذلك تجد الطلاب في المرحلة الثانوية يعزفون عن حصص القراءة ، لا لأن القراءة غير مهمة من وجهة نظرهم ؛ ولكن لأن القراءة بالصورة التي تقدم بها وبالموضوعات التي تقدم لا تثير اهتمام الطلاب ، ولا تتحدى تفكيرهم ولا تقدم جديدًا وليس من الصعب على التلميذ في هذه المرحلة أن يقرأ الموضوعات التي تقدم إليه وحده دون أدنى مساعدة من مدرس .

من هنا فمدرس القراءة مطالب في هذه المرحلة بشيء آخر أكثر من أن يظل مستمعًا لتلاميذه يقرءون جهراً أو ناظراً إليهم يقرءون صامتين ، إذن ما الشيء الذي ينبغي أن يقدمه المدرس لطلاب هذه المرحلة ، وللإجابة عن هذا السؤال سوف نتناول طبيعة عملية القراءة ومراحلها كما نتناول أهم أهداف تعليم القراءة في المرحلة الثانوية ، والإجراءات والعمليات التي يمكن أن تحقق ـ بفعالية ـ طبيعة عملية القراءة وأهدافها .

طبيعة القراءة ومراحلها :

القراءة ومراحلها عملية تفسير للرموز اللفظية المكتوبة أو المطبوعة ، وهي نتيجة التفاعل بين الرموز المكتوبة التي تمثل اللغة والمهارات اللغوية والخبرات السابقة للقارئ ، وفي عملية القراءة يحاول القارئ أن يعطي معاني

جديدة لكلمات الكاتب وذلك بحسب مستواه اللغوي وخبراته الحيوية ، ومعنى هذه العبارة الأخيرة أن القراءة ـ على الرغم من أنها فن استقبال لغوي ـ عملية نشطة إيجابية تتطلب من القارئ مستويات مختلفة من الفهم أو بصفة عامة ، يأخذ الفهم في القراءة بعدين أساسيين بعدًا أفقيًا ، ورأسيًا .

فالبعد الأفقي يتناول فهم الكلمة والجملة والفقرة والموضوع ، كما يتناول فهم الفكرة العامة والأفكار التفصيلية .

أما البعد الرأسي فيتناول مستويات الفهم المختلفة ، فهم المعنى الحرفي وفهم المعنى الضمني ، وفهم ما بين السطور والاستنتاج والنقد والتذوق والتفاعل والابتكار .

ومن أهم ملامح التعليم القراءة في المرحلة الثانوية ما يلي :

١- أن المرحلة الثانوية تتطلب قراءة أوسع وأعمق ، وتتطلب القراءة في مجالات مختلفة كما تتطلب المهارة في الاستنتاج وحل المشكلات والنقد والتفاعل والتذوق .

٢- أن المرحلة الثانوية تتطلب أن يتقن الطالب مهارات الدراسة ، ومن أهم هذه المهارات تحديد المعلومات المطلوبة ، وتحديد المراجع الأساسية واستخدام هذه المراجع والتصفح ، وأخذ المذكرات وكتابة الملخصات، وقبل هذا كله استخدام المكتبة واستخدام دوائر المعارف المختلفة والمعاجم .

٣- أن هذه المرحلة تتطلب السرعة في القراءة الصامتة استغلالاً للوقت ومتابعةً لهذا الحشد الهائل من المواد المطبوعة التي تطورها المطابع ودور الصحف والمجلات يومياً وأسبوعياً .

٤- وأن هذه المرحلة تتطلب القراءة الجهرية الصحيحة والمعبرة عن الموقف الذي تتناوله المادة المقروءة ، ومن أهم هذه المهارات :

- الدقة في نطق الكلمات .

- الدقة في استخدام التنغيم .

- القراءة في جمل تامة .

- استخدام الإشارات المعبرة .

. . . إلخ مما تتطلبه القراءة الجهرية .

٥- أن هذه المرحلة مرحلة الاستقلال في القراءة ؛ أي أنه في هذه المرحلة يستطيع الطالب بما حصل من مهارات مختلفة للقراءة أن يقرأ منفردًا ، وأن يستقل في قراءته ، وأن يختار ما يقرأ .

وفي هذا الجانب ذكر «جراي» أن مراحل القراءة خمسة : مرحلة الاستعداد لتعلم القراءة ، ومرحلة البدء في القراءة ، ومرحلة تنمية المهارات الأساسية في القراءة ، ومرحلة القراءة الواسعة ، ثم تأتي مرحلة صقل المهارات الأساسية التي حصلها التلميذ ، وترتبط المراحل الأربعة الأولى بالسنين الأولى من تعلم القراءة (المرحلة الابتدائية) أما المرحلة الخامسة ترتبط بالمرحلة الإعدادية والثانوية .

ومعنى ذلك من وجهة نظر «جراي» أن المرحلة الثانوية ـ بالتالي ـ مرحلة إفادة من كل المهارات التي تعلمها التلميذ في أثناء مروره بمراحل تعلم أساسية ، لتعلم القراءة السابقة .

أما «أدنا وجنل» فتذكر أن هناك أربع مراحل أساسية لتعلم القراءة :

١- مرحلة الاستعداد .

٢- مرحلة تكوين المهارات الأساسية .

٣- مرحلة الاستقلال الأولى (وهي تتطلب التأكيد على المهارات السابقة) .

٤- مرحلة الاستقلالية الثانية (وهي تتطلب الاستخدام الأمثل للمهارات السابقة) .

٧٠

وهذه المرحلة الأخيرة تقابل بالدرجة الأولى المرحلة الثانوية ، وهي تتطلب تأكيدًا أكثر على :

- المهني الضمني ، والاستنتاج ، والتقويم .
- تحديد المراجع والمصادر الأساسية والإفادة منها .
- مهارات الدراسة ، كالتلخيص ، والتصفح ، والقراءة السريعة ، وقراءة العلوم المختلفة .
- تنمية الثروة اللغوية وإنمائها .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : هل يمكن لكتب القراءة أن تحقق تلك الأهداف التي أشرنا إليها؟ وهي باختصار :

- القراءة الواسعة والعميقة .
- إتقان مهارات الدراسة .
- السرعة في القراءة الصامتة .
- جودة القراءة الجهرية .
- الاستقلال في القراءة .

إن قيام مدرس القراءة بإضاعة وقت حصة القراءة في أن يطلب من الطلاب قراءة موضوع مفروض عليهم قراءة صامتة ، وأن يسألهم ـ بعد ذلك ـ في معاينة أمر يستحق النظر والاهتمام ، إن مثل هذا الإجراء لا يتناسب مع الأهداف التي سبق أن أشرنا إليها ، ولا مع المستوى الفكري واللغوي للطلاب ، ومن ثم فإنه يمكن أن نقول ـ دون مبالغة ـ إن حصة القراءة بهذه الصورة لا غناء فيها .

علاوة على أن من أهم الاتجاهات العالمية في تعليم القراءة بالمرحلة الثانوية إتاحة الفرصة للتلاميذ كي يقرءوا بأنفسهم ما يشاءون من خلال برنامج محدد يتسع لجميع الأهداف التي سبق أن أشرنا إليها .

ومن أهم ملامح هذا الاتجاه العالمي في تعليم القراءة ما يلي :

١- عدم تخصيص كتاب مقرر في القراءة .

٢- تنويع مصادر القراءة (صحف ، مجلات ، كتب حديثة ، كتب قديمة ، تراث) .

٣- الاعتماد على استخدام المكتبات (المدرسية) والعامة .

٤- الاعتماد على تقارير الطلاب التي تقرأ جهرًا أمام زملائهم .

٥- الاهتمام بالمسابقات في القراءة الحرة .

٦- تقويم الطلاب يعتمد على :

- التقارير التي تقدم عن الكتب المختلفة .
- الملخصات .
- الاختبارات المقننة .
- استخدام المكتبة .
- القراءة الجهرية داخل حجرة الدراسة .
- تقويم الكتب الجديدة .

إن هذا الاتجاه يحقق عدة أهداف في وقت واحد ، من أهمها :

- تحقيق أهداف تعليم القراءة في المرحلة الثانوية .
- تحقيق أقصى درجات النمو في مهارات القراءة .
- تنمية الميول في القراءة .
- ربط الطالب بالأحداث .
- ربط الطالب بالتراث .
- تحقيق أكبر قدر من النشاط اللغوي .
- تخفيف العبء على المدرسين .
- تنمية القراءة الابتكارية .
- تنمية القدرة على القراءة الناقدة .

- مواجهة الفروق الفردية ، حيث يستطيع كل طالب أن يقرأ ما يميل إليه .
- إتاحة الفرصة للتفاعل بين الطلاب .

وليس معنى قيام الطلاب بقراءة ما يودون قراءته أن نحرم المعلم من أداء دوره في توجيه طلابه ؛ إذ أنه مطالب إذا وجد تركيزاً من الطلاب على نوع معين من القراءة أن يوجه طلابه إلى قراءة ما يرى أنه مفيد بالنسبة لهم ، أو إلى قراءة ما أثبتت الدراسات العلمية أنه مهم بالنسبة للطلاب في هذه المرحلة ، وليس معنى عدم تخصيص كتاب معين للقراءة أننا نهتم بجانب الوفرة الاقتصادية على حساب الفاعلية والكفاءة فعلى الرغم من أهمية ترشيد الإنفاق في هذه المرحلة إلا أن هدفنا الأساسي من عدم تخصيص كتاب للقراءة أن نتيح أكبر قدر من النمو في القراءة لتلاميذ هذه المرحلة المهمة ، وفي نهاية هذا الجزء من الورقة تطرح هذه الأسئلة لأخذ الرأي فيها :

١- ما الإجراءات الأكثر فعالية في تعليم القراءة في المرحلة الثانوية في حالة تخصيص كتاب مقرر في القراءة؟

٢- كيف نُقوِّم الطلاب؟ وعلى أي أساس يُعطون الدرجات؟ هل نعتمد على أعمال السنة؟

٣- ما المجالات التي يُقترَح أن يقرأ فيها الطلاب؟ أمن القديم أم الحديث؟ وما نوع المراجع ودوائر المعارف؟ ما دور الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشعرية . . . إلخ .

- هل تخصص لكل صف من الصفوف الثلاثة مجالاً معينًا؟
- ما دور مجموعة المدرسين في المدرسة الواحدة في هذا المجال؟

نعلم مقدمًا أن هناك صعوبات كثيرة تعترض تطبيق مثل هذا الاتجاه ، ولكن لابد من محاولة . . ومحاولة ثانية . . وثالثة . . . حتى نواكب العصر الذي نعيش فيه . . . وإلا . . .

* * *